

عبد الرحمن الداخل

في تاريخ مدينة دمشق للحافظ الكبير ابن عساكر

سكينة الشهابي

ترتسم أمام قارئ هذا الاسم صور كثيرة لمعارك وحروب ، ومشقات وأهوال . وينتقل به خياله سريعاً الى بداية دولة ، ونهاية دولة ، وتملاً تفكيره مغامرات شاب طموح لم يبلغ سنه الخامسة والعشرين فرء من مصير دولته ، وقدر أسرته ، فاجتاز الفيافي والقفار ، وقذفت به أمواج البحار .

ولعل مدرساً للتاريخ ، أو محباً له ، أو مؤلفاً فيه يحط أمتعته ، ويلقي عصا الترحال متجهاً بعقله وقلبه الى تاريخ مدينة دمشق ظناً منه أن هذا التاريخ سيجيبه عن أسئلة كثيرة كانت تتسابق في تفكيره ، وتزدحم على لسانه . ومن مثل الحافظ الكبير في الجمع والاستقصاء ، وأية قصة أروع وأعجب من قصة « صقر قريش » كما يسميه الخليفة المعاصر له أبو جعفر المنصور ؟!

ولكن التقدير سوف يخطيء من لا يعرف مكر الحافظ الكبير بقارئه ، وأبعاد تفكيره ، ولم يتمرس تمرساً كاملاً في تعامل مؤلف تاريخ مدينة دمشق مع الشخصيات الكبيرة ، وأحداث أمته الجسيمة .

فلا تطمع يا صاحبي في ادخال شيخك ابن عساكر قفص الاتهام في مملأة دولة على دولة ، والانتصار لفئة على فئة ، والتعصب لبطل على بطل . ان هذا الشوك قد تعلق فيه رجل آخرى غير رجل الحافظ ابن عساكر ، لقد آلى على نفسه ألا يكون متعيزاً ، وأن يحافظ على الحياد الايجابي ؛ والمشكلة بين بني أمية وبني العباس أكثر تعقيداً من أن يورط نفسه في خوض غمارها ؛ وليس من الممكن ألا يحتل عبد الرحمن الداخل بعض صفحات « تاريخ مدينة دمشق » ، فماعليه اذاً أن يلهي قارئه ويشغله ، وينسيه ما كان يبحث عنه ، أو يتطلع اليه .

لا عليه أولاً - وهذا شيء لا بد منه - أن يعرفنا باسم مترجمه الكامل ، وأن يحدثنا بإيجاز عن وصوله الى الأندلس ، وتربعه على عرش بني أميه هناك ، ويعدد لنا أسماء الخلفاء الذي ولوا بعده حتى بداية القرن الرابع .

وفي الوقت الذي كنا نظن فيه أن الحافظ سينقل لنا من الأخبار ما نجد فيه تلك المغامرات الجريئة التي كانت السبب في تأسيس الدولة ، وتلك المعارك الطاحنة التي قضت على التمرق والطائفة في الأندلس ، وعلقت أظافر الخصوم والمناوئين ينساب بنا مؤلف التاريخ في حداية شائقة عن عجوز عجقاء كانت تنفن الضرب على العود ، وتحسن الغناء . هذه العجوز يجمعنا بها في بيت من بيوت بغداد ، وصفه لنا وصفا حيا المعافى بن زكريا القاضي في مجلس من مجالسه المانه التي يتألف منها كتابه : «الجليس الصالح الكافي» (١) . لا يكاد المعافى - فيما يروييه الحافظ عنه - يروي لنا حداية هذه المغنية ، وبعض ما غنته فاطربت سامعيها حتى يعبرنا أن عبد الرحمن الداخل أرسل في طلبها ، فابتيعت له ، وحملت اليه .

هذا كل ما يربط الحكاية بعبد الرحمن الداخل صاحب الترجمة ، ثم ننتقل بعد ذلك الى تفسيرات المعافى للغريب في الخبر ، واذابنا أمام فيض من الشواهد الشعرية ، والقياسات الصرفية ، والاستطرادات اللغوية، حتى يصح عندنا أن خبر مجلس الغناء لم يكن الا حيلة من المعافى ولج بها الى درسه لسائق الممتع ، فجعل بها فقه اللغة سائح الطعم ، سريع الهضم .

ان قارئ هذه الحكاية يخرج منها ممتليء الجعبة لا بأخبار عبد الرحمن الداخل ولكن بشروح لغوية تضمن بها معجماتنا .

وننظر بين أيدينا فيما بقي من أخبار عبد الرحمن فلا نجد الا خبراً قصيراً ينقل لنا المؤلف فيه تاريخ وفاة مترجمه ومدة خلافته .

وبعد أن يطوي القارئ هذا الاستطراد الموفق ، أو اللفتة الذكية ، أو الدرس اللغوي يخيّل اليه أن مؤلف التاريخ يطل عليه بابتسامة ساخرة وهو يقول له : ما رأيك يا صاحبي ؟ أليس هذا أفضل لك من أخبار المعارك الطاحنة، والأشلاء المتناثرة ، ما لنا نحن ولذلك كله ؟ اننا طلاب أدب !

هكذا يمس ابن عساكر القضايا الشائكة المتشابكة مساً رقيقاً رقيقاً ، ويحتال في صرف قارئه عنها بالبديل الصالح الكافي كما يصرف الأب الحكيم أبناءه عن مواطن الشبهة ، ومظان التهمة .

فلا تلتمس عزيزي القارئ عند شيخك ابن عساكر حلاً لمشكلة تاريخية ، أو قضية سياسية ، ولو فعلت فسوف يعيبك البحث ، ولن تصل الى بغيتك ، لأنه سيخرج بك من أبواب خلفية ليسغلك باستطراد من استطراداته الكثيرة المتنوعة . فلك أيها القارئ الكريم كل شيء عنده الا العصبية وأخبارها ، والدول وما يحاك فيها ، ويدبر حولها ليس لك في

تاريخ مدينة دمشق من أمر السياسة شيء ، ولا يرى مؤلفه حقاً الا في طاعة الله ، ولا باطلا الا في معصية الله . ومن يكون هذا شأنه كيف نلتمس لديه مواجهة الأحداث وتحليلها ، ومنطق التاريخ منطق القوة ، والبقاء فيه ليس للأصلح وانما للأقوى !؟

فالي كل حريص على الأدب والمتعة والفائدة أقدم ترجمة عبدالرحمن الداخل في تاريخ مدينة دمشق نموذجاً حياً في تعامل ابن عساكر مع عظماء التاريخ .

وشيء أحب أن أنبه عليه هو أن أخبار عبد الرحمن الداخل التالية هي بعض المجلد الثاني والأربعين من أصل التاريخ والذي أعمل على تحقيقه بمشيئة الله ، وقد حرصت على ألا أتقل الحواشي بمستلزمات التحقيق مثل فروق النسخ ، واختلاف الروايات ، وكثرة التصحيف لأن هذه الأخبار أعدت للنشر في مجلة ، وكل ما يتطلبه تحقيق النص سيجده القارئ ضمن المجلد المحقق ، أما هنا فقد اقتصر على الشروح والتفسيرات الضرورية. وشيء آخر هو أن نسخ التاريخ التي كانت عمديتي في التحقيق هي :

١ - نسخة أحمد الثالث .

٢ - نسخة المغرب .

٣ - نسخة الظاهرية سليمان باشا .

سكينة الشهابي

دمشق ١٩٨٦/١٢/٨ م

★ ★ ★

عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان

ابن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس

ابن عبد مناف ، أبو المطرف الأموي الهشامي

المعروف بالداخل*

ولد بدير حنيناء (١) . وذكر البلاذري أنه من عمل دمشق .

أخبرنا أبو الحسين بن الفراء ، وأبو غالب وأبو عبدالله ابنا البناء ، قالوا : أنا أبو جعفر بن المسلمة ، أنا أبو طاهر المخلص ، نا أحمد بن سليمان ، نا الزبير بن بكار ، قال (٢) :

ومن ولد هشام بن عبد الملك : أبان بن معاوية بن هشام ، وكان فارساً ، وعبد الرحمن ابن معاوية بن هشام ، غلب على الأندلس حين قُتل مروان بن محمد؛ وولده هناك . وهما لأُم ولد .

أخبرنا أبو غالب محمد بن الحسن ، أنا أبو الحسن محمد بن علي ، أنا أبو عبدالله أحمد ابن اسحاق ، أنا أبو الحسن أحمد بن عمران ، أنا أبو عمران موسى بن زكريا ، أنا أبو الحسن خليفة بن خياط قال (٣) :

وفي سنة ست وثلاثين ومائة قدم عبدالرحمن بن مسلم بن عبد الملك المغرب .
كذا قال (٤) . ووهم في نسبه .

قرأت في كتاب أبي الحسين الرازي ، أخبرني أبو عبيد الله محمد بن الربيع بن سليمان الجيزي - بمصر - نا علي بن محمد بن حيون الخولاني المصري ، أنا جابر بن عبيد الله الأندلسي .

أن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان لما خرج هارباً من مصر الى أرض بركة أقام ببرقة خمس سنين ، ثم رحل من بركة يريد الأندلس .

قال جابر : أظن ولا أستيقن أنه نزل بموضع يقال له يثيرة (٥) المراكب ، فكانت البلاد مفتونة ، فيها يمانية ومضرية يقتتلون على العصبية ، فدخل بدر مولاہ يتجسس عن الخبر ، فرأى القوم وبأسهم ، فقال يدرك للمضريين : لو وجدت من رجلا من أهل الخلافة أكنتم تابيعونه ، وتقومون معه ؟ فقالوا : وكيف لنا بذلك ؟ فقال بدر : هذا عبدالرحمن ابن معاوية بن هشام بن عبد الملك ! فاتوه ، فبايعوه ، وولوه . فولى عليهم ثلاثاً وثلاثين سنة ، ثم مات ، فولى ابنه .

وكان دخوله الأندلس سنة تسع وثلاثين ومائة . وكان يوسف الفهري أول من قطع الدعوة عنهم ، وكان من قبل يوسف من الولاة يدعون لولد عبد الملك بالخلافة ، فلما أتى يوسف قطع الخلافة عنهم ، ودعا لنفسه ؛ فلما دخل عبدالرحمن الأندلس قاتل يوسف ، وأخذ البلاد . ثم مات عبدالرحمن ، فولى بعده ابنه هشام بن عبد الرحمن ، فأقام والياً سبع سنين وأشهر ، ثم مات هشام ، فولى بعده الحكم بن هشام ، فأقام والياً ستاً وعشرين سنة وأشهر . ثم ولي عبد الرحمن بن الحكم ثلاثاً وثلاثين سنة ، ثم ولي محمد بن عبدالرحمن ابن الحكم ستاً وعشرين سنة ، ثم ولي بعده ابنه المنذر بن محمد ، ثم مات ، فولى بعده أخوه عبدالله بن محمد ، ثم مات ، فولى ابن ابنه عبدالرحمن بن محمد بن عبدالله بن محمد ابن عبدالرحمن .

قال لي أبو عبيد الله محمد بن الربيع بن سليمان بمصر في سنة خمس عشرة وثلاثمائة :
ان واليهم الساعة عبدالرحمن بن محمد هذا .

وأخبرني أبو عبيد الله محمد بن الربيع بن سليمان ، نا علي بن محمد بن حيون ، أخبرني محمد بن عبدالله الأندلسي ، أخبرني بعض مشايخنا :

أن عبدالرحمن بن معاوية بن هشام لما توجه الى يوسف الفهري أتى الخبر يوسف بشخصه ، وأخبر بقدومه ، وتوجهه اليه ، فلم يعبأ يوسف ، ولم يكثرث . وكان يوسف أول ما يدعو لبني هاشم ، ثم خلع ، ودعا لنفسه . وان عبد الرحمن

لما توجه اليه غدا الى الجزيرة ، فنزلها ، فاتبعه أهلها ، ثم مضى منها الى شذونة (٦) فاتبعه أهلها ، ثم مضى من شذونة الى اشبيلية ، فاتبعه من فيها ، ثم مضى من اشبيلية الى قرطبة - وهي مدينة الأندلس - فاتبعه من فيها ؛ فكان كلما دخل مدينة اتبعه أهلها حتى دخلوا معه الأندلس . فذكروا أنهم دخلوها يوم الأضحى أو الفطر ؛ فلما رأى يوسف المساكر قد أظلمته خرج هارباً الى دار الشرك فتحصن فيها هنالك . وغزاه عبدالرحمن من بعد ذلك ، فوقعت نفرة في عسكره ، فانهزم . وانصرف عبدالرحمن ومن معه بلا حرب . وجعل عبد الرحمن لمن أتاه برأسه جعلاً (٧) ، فأتاه رجل من أصحاب يوسف برأس يوسف ، فسرره ذلك ، فجازاه ، وأكرمه (٨) .

وأقام عيال يوسف في مسكنهم لم يهجمهم بشيء ، فلما كان بعد ذلك خير عياله في الخروج عنه ، أو المقام في موضعهم ، فاختاروا موضعهم ، فأقاموا فيه .

والصحيح أن البلاد لم تكن مفتونة وقت دخول عبدالرحمن بن معاوية في ذلك الوقت ، ولا كانت مضرية ، ولا يمانية حينئذ ، وانما كانت المضرية واليمانية بعد ذلك .

وكان عبدالرحمن دخل الأندلس ، ووليها نائباً ، وقال : ان أتت رسل بني العباس سلمت اليهم ، وأنزلتهم هاهنا . فقال له مولاه : - يقال له : مهدي بن الأصفر - تخاف قوماً بينك وبينهم طول هذه المدة ، والبحر دونك ودونهم ؟ فأشار عليه أن لا يفعل فقبل منه .

وكان نزول عبد الرحمن ، قبل أن يعبر الى الأندلس ، يقوم من البربر يقال لهم : بنو ماسين ، فأقام عندهم ، ثم عبر الى الأندلس ، وقال للذي كان عنده : ان سمعت بأول وال ولي الأندلس فارحل اليه . فلما دخل ، وتم له أمر الأندلس رحل اليه الذي كان عنده [١٠٤ ب] ، واسمه خلف ، فأقام ببابه مدة لا يصل اليه ، فركب عبد الرحمن ذات يوم ، فعرض له الرجل من بُعد ، فعرفه ، فأمر بعض من معه أن يأخذه ، ويصيره عنده ، ويبره ، ويحسن اليه الى رجوعه . فصار به الى منزله ، وفرشه له حتى قدم عبد الرحمن فدعا به وسأله عن أهله وعياله ومن خلف منهم وقال له : سل ما تريد ، فقال : تهب لي غلاماً ، وجارية يرعيان علينا . فقال له : نحن نعطيك عشرة من الغلمان ، وعشرة من الجواري . ثم ان عبدالرحمن وجه رسولا من عنده ، فدعا البحر حتى أتى منزلهم ، فرحل بهم جميعاً ، فلم يشعر البربري الا بأهله وولده يبرونه ، ويخدمونه ، فلما ورد عليه بنى لهم منزلاً ، وفرشه لهم ، ووسع عليهم ، فأهل ذلك البيت بالأندلس الى اليوم يولون ، ويبرون .

قرأت على أبي الحسن سعد الخير بن محمد ، عن أبي عبدالله الحميدي قال : (٩)

أول أمراء بني أمية بالأندلس عبدالرحمن بن معاوية بن هشام بن عبدالملك بن مروان ، يكنى أبا المطرف . مولده بالشام سنة ثلاث عشرة ومائة . وأمه أم ولد اسمها راح . هرب لما ظهرت دولة بني العباس ، ولم يزل مستتراً الى أن دخل الأندلس [في ذي القعدة] (١٠) سنة ثمان وثلاثين ومائة ، في زمن أبي جعفر المنصور ، فقامت معه اليمانية ، وحارب يوسف ابن عبدالرحمن بن أبي عبيد بن عقبة بن نافع الفهري الوالي على الأندلس فهزمه ،

واستولى عبدالرحمن على قرطبة يوم الأضحى من العام المذكور ، فاتصلت ولايته الى أن مات سنة اثنتين وسبعين ومائة .

كذا قال لنا أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الفقيه : يوسف بن عبد الرحمن بن أبي عبيدة . ورأيت في غير موضع : يوسف بن عبدالرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة ، فالله أعلم . وكان عبدالرحمن بن معاوية من أهل العلم ، وعلى سيرة جميلة من العدل ومن قضاياه : معاوية بن صالح (١١) الحضرمي الحمصي . وله أدب وشعر .

ومما أنشدونا له يتشوق الى معاهده بالشام قوله (١٢) :

أيها الراكب الميمم أرضي أقر من بعضي السلام لبعضي
ان جسمي كما علمت بأرض وفؤادي ومالكه بأرض
قدر البين بيننا فافترقنا وطوى البين عن جفوني غمضي
قد قضى الله بالفراق علينا فعسى باجتماعنا سوف يقضي

كتب الي أبو المظفر محمد بن أحمد بن محمد الأبيوردي العنبري ، من ولد عنبرة ابن أبي سفيان ، يذكر في نسب آل أبي سفيان ، قال :

معاوية بن هشام بن عبد الملك ، والد عبدالرحمن الداخل الذي غلب على الأندلس حين قتل مروان بن محمد وولده هناك . وكان في أهل ذلك الصقع جفاء وغلظة ، فلما آمن به عبدالرحمن ، ونشأ أولاده فضلاء علماء سمحاء توفر أعيان الرعية به على التأدب والتفقه ، فرقت حواشيهم ، ونبغ فيهم شعراء ، والناس بزمانهم أشبه منهم بأبائهم ، والملك سوق يجلب اليها ما ينفق فيها . وكان المنصور يثني على عبدالرحمن ويقول : ذاك صقر قريش ، دخل المغرب ، وقد قتل قومه ، فلم يزل يضرب العدنانية بالقحطانية ، ويلبس القحطانية بالعدنانية حتى ملك . وكان الناس يقولون : ملك الأرض ابنا بربريتين – يعنون : عبدالرحمن والمنصور وأمه « سلامة البربرية » ، وأم عبدالرحمن راح البربرية . وأخوه أبان كان فارساً ، وأمه « راح » أيضاً ، وأبوهما معاوية ، وأخوه سعيد ابنا هشام وأم ولد . واعتبط (١٣) معاوية وعبدالرحمن صغير ، وكان مسلمة بن عبد الملك يوصي به هشاماً ، ويقول : اليه يفرع قل بني أمية . وكان خالد بن يزيد ومسلمة بن عبد الملك يزنان (١٤) بمعرفة الأحداث الكائنة ؛ لأنهما ناقبا (١٥) أهل العلم بالكتب القديمة .

أخبرنا أبو العز بن كادش اذنأ ومناولة وقرأ علي اسناده ، أنا محمد بن الحسين ، أنا المعافى بن زكريا ، نا محمد بن الحسن بن دريد ، أنا أبو الفضل الرياشي ، عن محمد بن سلام قال (١٦) :

بلغني عن غرير بن طلحة الأرقمي قال : قال لي أبو السائب – وكان من أهل الفضل والنسك – هل لك في أحسن الناس غناء ، لاتسأه ؟ [وكان علي يومئذ طيلسان لي أسميه] (١٧) من غلظه وثقله : مقطوع الأزرار ؛ قال : فخرجنا حتى جئنا الجبابة الى دار مسلم بن يحيى مولى

بني زهرة ، فأذن لنا ، فدخلنا بيتاً طوله اثنا عشر ذراعاً في مثلها ، وطول البيت في السماء ستة عشر ذراعاً . وفي البيت نمرقتان قد ذهب عنهما اللحم ، وبقي السدى ، وقد حشيتا بالليف ، وكريسان قد تفككا من قدمهما ، بينهما مرفقتان (١٨) . ثم طلعت علينا عجفاء ، عليها قرقل (١٩) هروي أصفر غسيل لم يجد في الصبغ ، وكان وركيها في خبط من رسحها (٢٠) . فقلت لأبي السائب : بأبي أنت ، ما هذه ؟ قال : اسكت ! فتناولت عوداً ، فضربت ، ثم غنت (٢١) :

بيد الذي شغف (٢٢) الفؤاد بكم تفريج ما ألقى من الهم
فاستيقني أن قد كلفت بكم ثم افعلي ما شئت عن علم
قد كان صرم في الممات لنا فعجلت قبل الموت بالصرم

قال : فتحسنت في عيني ، فبدا ما أذهب الكلف عنها . وزحف أبو السائب ، وزحفت معه . ثم تغنت (٢٣) :

برح الغفاء ، فاي ما بك تكتم ؟ ولسوف يظهر ما تسر فيعلم
مما تضمن من غرير (٢٤) قلبه يا قلب انك بالحسان لمفرم
بل ليت أنك يا حسام (٢٥) بأرضنا تلقى المراسي طائعا (٢٦) وتخم
فتذوق لذة عيشنا ونعيمه (٢٧) ونكون اخوانا (٢٨) فماذا تنقم ؟

فقال أبو السائب : ان نقم هذا فأعضه الله بكذا وكذا من أمه - ولا يكني - وزحفت مع أبي السائب حتى قاربنا النمرقتين ، وربت العجفاء في عيني كما يربو السويق شيب بماء مزنة . ثم غنت :

يا طول ليلي أعالج السقما اذ حل كل (٢٩) الأوبة الحرما
ما كنت أخشى فراقكم أبدا (٣٠) فاليوم أمسى فراقكم عزما

قال غرير : فالقيت طيلسانني علي - مقطوع الأزرار - وأخذت شاذكونة (٣١) ، قال القاضي : أحسبه قال : على رأسي - وصحت كما يصاح بالمدينة : « الدجر (٣٢) بالنوى » .

وقام أبو السائب فتناول ربة (٣٣) كانت في البيت ، فيها قوارير دهن ، فوضعها على رأسه ، وصاح صاحب الجارية ، وكان ألشغ : قواليلي ، قواليلي (٣٤) وحرك أبو السائب [رأسه] (٣٥) ، فاصطكت القوارير ، فتكسرت ، وسال الدهن على صدر أبي السائب وظهره ، وقال للعجفاء : لقد هيجت لي داع قديماً ، ثم وضع الربة . فكنا نختلف إليها حتى بعث عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك من الأندلس فابتيعت له العجفاء ، وحملت إليه .

قال القاضي : [١٠٥ ب] قول الأرقمي في هذا الخبر : « اثنا عشر ذراعاً » ، على لغة من ذكر الذراع ، والتأنيث فيها أظهر ، وإن كانت اللفتان فيها قد حكيتا . أنشدنا في التأنيث محمد بن القاسم الأنباري قال : أنشدنا أبو العباس ، عن سلمة ، عن الفراء :

أرمي عليها [وهي] فرع أجمع وهي ثلاث أذرع واصبع (٣٦)

وحدثنا ابن الأنباري ، حدثني أبي ، عن محمد بن الحكم ، عن الليثاني قال :

الذراع والكراع (٣٧) يذكران ويؤنثان . قال : ولم يعرف الأصمعي التذكير فيهما قال ابن الأنباري : وحكى السجستاني (٣٨) ، عن أبي زيد أنه قال :

الذراع يذكر ويؤنث . وقولهم : هذا ثوب سبع في ثمانية ؛ ذكروا ثمانية ، وإنثوا سبعاً ، لأنهم أرادوا سبع أذرع في ثمانية أشبار ، والشبر مذكر ، فلذا ألحقوا الهاء في ثمانية .

وقال الفراء عند ذكره تأنيث الذراع : وقد ذكر الذراع بعض عكل ، فقال : الثوب خمسة أذرع ، وستة أذرع ، وخمس وست أذرع .

وقوله : « وفي البيت نمريقتان » ، الواحدة نمركة — بضم النون والراء ، فيما حكى اللغويون .

وذكر الفراء أنه سمع بعض كلب يقول : نمركة ، بكسرهما ، وتجمع : نمارق ، وهي الوسائد ، والمرافق . قال الله تعالى : « ونمارق مصفوفة » (٣٩) ، ومن هذا قول امرأة من بني عجل في يوم ذي قار تحض قومها على قتال الأعاجم :

ان تقربوا نعانق ونفرش النمارق

أو تهربوا نفارق فراق غير وامق

وقالت على هذا هند بنت عتبة * :

نحن بنات طارق (٤٠) نمشي على النمارق

ونلبس اليلامق (٤١) ان تقبلوا نعانق

أو تدبروا نفارق فراق غير وامق

ومن النمارق قول ذي الرمة (٤٢) :

كأن فؤادي قلب جاني مخوفة (٤٣) على النفس اذ يكسين وشي النمارق (٤٤)

قال القاضي : وفي تسمية الوسادة مرفقة وجهان : أحدهما أنه من الرفق ، والارتفاق بالشيء والانتفاع ، من مرافق الدار والآثاث . قال الله عز ذكره : « ويجعل لكم من أمركم مرفقاً » (٤٥) ، وقرئ « مرفقاً » . وقالوا : قد ارتفق فلان بمال فلان ، وأرفقه صاحبه . وجاء في مرفق اليد : مرفق ومرفق أيضاً . والوجه الآخر أن يكون من مرفق اليد ، لأنه

يتكئ به على الوسادة ، فكسر كما تكسر الأدوات ، مثل مقطع ، ومخرز ، ومخيط . قال
أمية بن أبي الصلت يخاطب سيف بن ذي يزن لما ظفر بالحبشة ، وأجلاه عن اليمن (٤٦) :

فاشرب هنيئاً عليك التاج مرتفقاً في رأس غمدان داراً منك محلاً
وقيل لها : وسادة لتوسدها . وقال الأعشى (٤٧) :

(٤٨) ان كنت لا تشفين غلة عاشق كلف بجبك يا جبيرة صادي
فانهي خيالك أن يزور ، فانه في كل منزلة يعود وسادي
وقال الأسود بن يعفر (٤٩) :

نام الغلي وما أحس رقادي والههم محتضر لدي وسادي

ويقال في الوسادة : اسادة ، فتبدل الواو همزة استثقالا لابتداء الكلمة بها ، كما قالوا :
اشاح ووشاح ، ووجوه ، وأجوه . وحكى عن العرب سماعاً : ما أحسن هذه الأجوه في
كثير من الكلام . ومنه قول الشاعر :

يحل أحيده ، ويقال بعل ومثل تمول منه افتقار

أصله : وحيد . وهذا باب يأتي على شرحه وتفصيله ، وذكر جائزه وممتنعه ،

وما فيه مرسوم [١٠٦] فيه . وقد قرأت عامة القراء : « واذا الرسل أقتت » (٥٠) ، وهو
من الوقت . وقرأ أبو جعفر الميداني : « وقتت » ، بالواو والتخفيف ، وقرأ أبو عمرو
« وقئت » على الأصل أيضاً إلا أنه شدد ، وهم يكرهون كثيراً افتتاح الكلام بالواو خاصة إذا
تكررت ، وقالوا : ان ذلك نباح الكلاب . وقالوا في تصغير « واصل » : « أويصل » ،
وفي جمعه : « أواصل » ، فقلبوا الواو همزة ويقولون : حضر زيد وواصل ، فلا يقلبون ،
لأن الواو زيدت للعطف كالفاء وثم ، وليست من سنخ (٥١) الكلام في أصلها . ويقال : فلان
يتوسد القرآن . وهذا يكون مدحاً ، بمعنى يجعله وسادة ، اذ يتلوه مكان توسده اياه ،
ويكون ذمّاً أن ينام عن القيام به ، وتأدية الحق فيه . وروي عن عدي بن حاتم أنه ذكر للنبي ﷺ أنه قال في رجل
ذكر عنده : « ذاك رجل لا يتوسد القرآن » . وروي عن عدي بن حاتم أنه ذكر للنبي ﷺ أنه
جعل تحت وسادته خيطين أسود وأبيض ، فلم يبين له بذلك أمر الفجر ، فقال له : « أنك
لعريض الوساد » (٥٢) ، ويروى أنه قال : « لعريض القفا ، انما هو بياض النهار من
سواد الليل » ! فاما اشتقاق اسم المرفقة من المرفق فهو باب معروف مستمر ، ألا ترى أنهم
يقولون : مخدة من الخد ، لأنه يوضع عند الاضطجاع عليها . ويقولون : مصدغة من
الصدغ (٥٣) ، وقد يقولون : مزدغة ، فيبدلون من الصاد زايأ لسكونها ، واتيان الدال ثلاثة
لها . وهذه لغة معروفة في العربية . وقد قرأ بعض القراء بها في مواضع من القرآن ، كقوله
« يصدر » ، و « يصدقون » ، و « قصد السبيل » .

وقوله : « قد ذهب عنها اللَّحْمَة وبقي السدى » ، فاللحمة لحمة الثوب ، والسدى سده ، واللام ها هنا مفتوحة ، فأما لُحمة النسب فمضمومة ، وكذلك لحمة البازي والصقر ، وهو ما أطعمه إذا صاد .

وقوله : « رسحها » ، فانه يقال منه : امرأة رسحاء ، ورجل أرسح ؛ اذا كان مؤخرهما من العجز وما والاها عارياً من اللحم .

وقول غرير : « وأخذت شاذكونة » ، معناه وسادة ، فهي عندي في الأصل فارسية تكلم بها من تكلم من العرب ، وهي مشتقة من موضع الجلوس ، ويقال له بالفارسية : « كون » . وهذا من الباب الذي بينا الاشتقاق فيه كالمصدغة والمخدة . وقد فسر أبو عبيدة الرازي في قول الله - عز وجل - : « وزرّ أبي مَبْثُوثَة » (٥٤) ، فقال : هي البسط ، كما قال غيره من أهل التأويل والعربية ، ثم قال : وأحدها : زَرَبِيَّة وزرَبِي (٥٥) . ثم قال : والزراي في لغة أخرى : الشواذكين (٥٦) ، وأتى به على هذا اللفظ في الجمع .

وقوله : « الدجر (٥٧) بالنوى » ، حكى بذلك نداء من يطوف بالدجر من باعته ، ويعرض بيعه بالنوى ، كأنه يقول : اشترُوا الدجر بالنوى ، أو : الدجر يباع بالنوى . والدجر من أسماء اللوبياء ، وله أسماء ذوات عدد : اللوبياء ، واللوبياء ، بالمد والقصر ، ولياء ، الواحدة لياءة . ويقال للجارية المستحسنة : كأنها لياءة مقشورة . وروي عن بعضهم أنه قال : دخلت على معاوية وفي يده لياء مقشورة (٥٨) ، أي مقشور . ويقال له : اللوبياج ، والأحبل والحبل (٥٩) والدجر .

ذكر أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد المعروف بابن الجزار (٦٠) القيرواني في تاريخه الذي سماه : « التعريف بصحيح التاريخ » ، قال :

سنة اثنتين وسبعين ومائة - فيها مات أمير الأندلس عبد الرحمن بن معاوية بن هشام ابن عبد الملك بن مروان ، وهو أول ملوك الأندلس من بني أمية ، ومات وهو ابن ستين سنة . وكان ملكه أربعاً وثلاثين سنة وخمسة أشهر . ثم ولي من بعده هشام بن عبد الرحمن لسبع خلون من جمادى ، وهو ابن احدى وعشرين سنة .

□ الحواشي :

١ - روى ابن عساكر هذا الخبر من طريقه الى المعافى بن زكريا الجريفي في كتابه « المجلس الصالح الكافي » . وقد تم طبع جزءين من هذا الكتاب ، وليس الخبر الذي رواه ابن عساكر فيهما .

★ أهم مصادر ترجمته : تاريخ الطبري ٥٠٠/٧ ، والعقد الفريد ٤/٤٨٨ ، وجذوة المقتبس ٩ ، وسير اعلام النبلاء ٢١٧/٨ ، وتاريخ خليفة ٢/٦٣٦ ، ونفح الطيب ١/٣٢٧ ، و ٢٧/٣ ، والبداية والنهاية ١٠/٧٤ ، والكامل في التاريخ ٥/٤٨٩ ، والبيان المغرب ٢/٧١ ، ونسب قريش لمصعب ١٦٨ .

١ - في البيان المغرب : « دير الحسينية » . قال ياقوت : « حنياء - بالفتح ثم الكسر وباء ساكنة ونون أخرى - دير حنياء ، من أعمال دمشق » .

٢ - الخبر في نسب قريش لمصعب بشيء من الغلاف في الرواية .



- ٣ - تاريخ خليفة ٦٣٦/٢ .
- ٤ - يعني أنه قال : « عبد الرحمن بن مسلم بن عبد الملك » ، جاء الاسم في تاريخ خليفة على الصواب ، فلعل هذا الوهم خاص بالنسخة التي روى منها ابن عساكر هذا الخبر .
- ٥ - كذا أعجمت اللفظة في إحدى نسخ التاريخ ، وهي في النسختين الآخرين من غير أعجام . ذكر صاحب التاج : يشبة اسم أرض ، وتمثل لها بشعر الراعي .
- ٦ - لم تعجم الذال في الأصل . وقال ياقوت : « شدونة - بفتح أوله وبعد الواو الساكنة نون - : مدينة بالاندلس ، تتصل نواحيها بنواحي موزر » . وجاء ترتيبها فيه بعد « شذن » ، معجم البلدان ٣٢٩/٣ .
- ٧ - الجعل : العطاء .
- ٨ - روى الخبر المتقدم الذهبي في سير أعلام النبلاء من طريق ابن عساكر .
- ٩ - الخبر التالي في جذوة المقتبس ٩ .
- ١٠-١١ - ليس ما بينهما في جذوة المقتبس .
- ١١ - في جذوة المقتبس : « طليح » .
- ١٢ - الأبيات - بالإضافة إلى الجذوة - في : نفح الطيب ٣٨/٣ ، ٥٤ ، وسير أعلام النبلاء ٢١٩/٨ ، والبيان المغرب ٨٩/٢ .
- ١٣ - يعني أن الموت اخترمه وهو شاب . مات عبطة أي شابا . وأعبطه الموت واعتبطه على المثل ، وكل من مات بغير علة فقد اعتبط . اللسان : « عبط » .
- ١٤ - أزننته بشيء : اتهمته به . وفلان يزن بكذا وكذا : أي يتهم به ، ويظن فيه .
- ١٥ - المراد هنا أنهم لقوهم وجالسوهم . في اللغة : ناقبت فلانا : إذا لقيتهم فجأة . ولقيته نقابا : أي مواجهة .
- ١٦ - الخبر في الأغاني ٢٣/٢٨٥ ، طبعة دار الثقافة ، وفيه خلاف في الرواية .
- ١٧ - ما بينهما زيادة من الأغاني .
- ١٨ - في الأصل : « ثلاث » ، وأرى أن الصواب في هذا الموضع ما أثبتته من الأغاني .
- ١٩ - في التاج : « القرقل - كجعفر - قميص للنساء ، أو ثوب لا كم له . جمعه قراقل » .
- ٢٠ - الرسح : قلة لحم العجز والفخذين .
- ٢١ - روى أبو الفرج في هذا الموضع من الخبر البيت الأول ، وروى الأبيات الثلاثة بزيادة بيت في ص ٢٨٢ ، وهي من قصيدة لأبي صخر الهذلي . انظر شرح أشعار الهذليين ٢/٩٧٢ - ٩٧٥ .
- ٢٢ - في الأغاني وشرح أشعار الهذليين : « شعف » .
- ٢٣ - الأبيات من قصيدة طويلة منسوبة لسعيد بن عبد الرحمن بن ثابت في الأغاني ٨/٧٢ ، وهي في موضعها من هذا الخبر في الأغاني من غير عزو .
- ٢٤ - في الأغاني : « غريرة » ، وليس هذا البيت في الأغاني ٨/٢٧٢ .
- ٢٥ - في الأغاني ٨/٢٧٢ : « يا ليت أنك يا سعيد » .
- ٢٦ - في الأغاني : « دائما » .
- ٢٧ - في الأغاني ٨/٢٧٢ : فنصيب . ورخاء » .
- ٢٨ - في الأغاني : « أجوارا » .
- ٢٩ - في الأغاني : « دون » .
- ٣٠ - في الأغاني : « فراق بينكم » .
- ٣١ - الشاذكونة : الوسادة .
- ٣٢ - الدجر : اللوبياء .
- ٣٣ - الربعة : جونة العطار ، وهي سلة صغيرة .
- ٣٤ - هذه اللفظة والتي قبلها كثرتا التصحيف في الأصل ، والصواب من الأغاني ، وزاد فيه : « يريد قواريري ، قواريري » .
- ٣٥ - زيادة لتقويم المعنى . وعبرة الأغاني : « فلم يلتفت أبوالسائب إلى قوله ، وحرك رأسه » .

٣٦- البيت كثير التصحيف في الأصل ، وتم تقويمه من اللسان ، فهو من شواهده : « ذرع ، فرع » ، والراجز في هذا البيت يصف قوسا عربية • قوس فرع : عملت من رأس القضيب وطرفه ، وانفرع من خير القسي • يقال : قوس فرع : أي غير مشقوقة الرأس •

٣٧- الكراع من الانسان : ما دون الركبة الى الكعب • ومن الدواب : ما دون الكعب •
٣٨- في الأصل : « السختياني » ، تصحيف • حكى أبو حاتم السجستاني عن أبي زيد الأنصاري • سير أعلام النبلاء ٢٠٦/٨ •

٣٩- سورة الغاشية ٨٨ آية ١٥ •

★ الابيات أكثر من هذه مختلف في مناسبتها ونسبتها • انظر تفسير غريب القرآن ٥٢٣ ، والفاخر ٢٣ ، وطبقات ابن سعد ٢٨/٢ ، وسير أعلام النبلاء ٢٧٧/١٠ ، وشرح شواهد المغني ٨٠٩/٢ •

٤٠- الطارق : النجم • شبهت أباها به في علوه وشهرة مكانه •

٤١- اليلامق : مفردا : يلمق ، وهو القباء • فارسي معرب •

٤٢- ديوان ذي الرمة ٢٤٩/١ •

٤٣- في الديوان : « مغافة » •

٤٤- جاء في شرح البيت في الديوان : « حين رأيتهم يتحملون ، وتكسى الابل وشي النمارق فكان قلبي قلب رجل جنى قتلا » •

٤٥- سورة الكهف ١٨ آية ١٦ • « ويجعل » في هذا الموضع خطأ من الراوي ، صوابه : « ويهيئ » • وانظر تفسير

القرطبي ٣٦٧/١٠ ، وتفسير الطبري ٢٠٩/١٥ •

٤٦- البيت من قصيدة له في الأغاني ٢٣٢/١٧ « طبعة دار الثقافة » •

٤٧- ديوان الاعشى ١٢٩ « مكتبة الآداب » •

٤٨- البيت مخروم ، سقطت فاء « فعملن » من أوله •

٤٩- ديوان الاسود بن يعفر ٢٥ •

٥٠- المرسلات ٧٧ آية ١١ • وقد وقع في الأصل : « عامسة القراءة » • انظر تفسير الطبري ٢٣٤/٢٩ •

٥١- السنخ : الأصل من كل شيء ، والجمع أسناخ وسنوخ • اللسان : « سنخ » •

٥٢- في اللسان : « ان وسادك اذن لعريض ؛ كنى بالوساد عن النوم لانه مظنته ، أراد أن نومك اذن كثير ، وكنى بذلك عن عرض قفاه وعظم رأسه ، وذلك دليل الغباوة ، ويشهد له الرواية الأخرى : أنك لعريض القفا » • اللسان :

« وسد » •

٥٣- لم تعجم الغين في الأصل • وفي اللسان : « المصدغة : المغدة التي توضع تحت الصدغ ، وقالوا : مزدغة » بالزاي •

اللسان : « صدغ » •

٥٤- سورة الغاشية ٨٨ آية ١٦ • وانظر تفسير الطبري ١٦٤/٣٠ •

٥٥- في الأصل : « زاربي » تصحيف • في القاموس : « الواحد • زربي ، بالكسر ويضم » •

٥٦- كذا أتى بها جمع تكسير لشاذكونة •

٥٧- اللفظة غير صحيحة الاعجام في الأصل في أكثر من موضع • وفي اللسان : الدجر : بكسر الدال ، اللويباء • هذه اللفظة

الفصحي • وحكى أبو حنيفة : الدجر والدجر ، بكسر الدال وفتحها •

قال ابن سيده : لم يحكها غيره الا بالكسر • وحكى هووكرع فيه : الدجر ، بضم الدال ، قال : وكذلك قرىء

بخط شمر •

٥٨- في الأصل : « مقش » ، وفي اللسان : « وروي عن معاوية - رضي الله عنه ، أنه أكل ليا » مقش » •

٥٩- تصحفت هذه اللفظة والتي قبلها في الأصل • وفي اللسان : الاحبل ، والاحبل ، والعتيل : اللويباء •

٦٠- اللفظة كثيرة التصحيف في الأصل ، والصواب ما أثبتته ، فهو : ابن الجزار أبو جعفر أحمد إبراهيم بن أبي خالد

التبرواني الفيلسوف الطبيب • له تصانيف كثيرة بينها كتابه : « التعريف بصحيح التاريخ » • انظر ترجمته في ارشاد

الأريب ١٣٦/٢ ، وسير أعلام النبلاء (٢٧٧/١٠ مصورة) •